افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها اي بالمصابيح وما لها من فروج قال مجاهد يعني من
شقوق وقال غيره فتوق وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تعالى الذي خلق سبع سموات
طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك
البصر خاسئا وهو حسير اي كليل عن ان ترى عيبا او نقصا وقوله والارض مددناها والمد اي وسعناها
وفرشناها والقينا فيها رواسي وهي الجبال لئلا تميد باهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الما مستقرة
المحيط بها من جميع جوانبها وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي حسن نضر تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
اي خاضع خائف وجل رجاع الى الله تعالى وقوله ونزلنا من السماء ماء مباركا اي نافعا فانبتنا به
جنات اي حدائق من بساتين ونحوها وحب الحصيد وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره والنخل
باسقات اي طوالا شاهقات قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم
الباسقات الطوال لها طلع نضيد اي منضود رزقا للعباد اي للخلق واحيينا به بلدة ميتا وهي الارض
التي كانت هامدة فلما انزل عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج من ازاهير وغير ذلك
مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعدما كانت لا نبات بها فاصبحت تهتز خضرا فهذا مثال للبعث بعد
الموت والهلاك كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس اعظم مما انكره الجاحدون
للبعث كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شي قدير وقال تعالى ومن اياته انك ترى
الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير
ز قال شيخ الاسلام الزرعي دعاهم الى النظر في العالم العلوي وبنائه وارتفاعه واستوائه
وحسنه والتيامه ثم الى العالم السفلي وهو الارض كيف بسطها وهياها بالبسط لما يراد منها
وثبتها بالجبال واودع فيها المنافع وانبت فيها من كل صنف حسن من اصناف النبات على اختلاف
اشكاله والوانه ومقاديره ومنافعه وصفاته وان ذلك تبصرة اذا تاملها العبد المنيب وتبصر بها
تذكر ما دلت عليه مما اخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من التوحيد والمعاد فالناظر فيها يتبصر
اولا ثم يتذكر ثانيا وان هذا لا يحصل الا لعبد منيب الى الله بقلبه وجوارحه ثم دعاهم الى التفكر
في مادة ارزاقهم واقواتهم وملابسهم ومراكبهم وحياتهم وهو الما الذي انزله من السما وبارك فيه حتى
انبت به جنات مختلفة الثمار والفواكه ما بين ابيض واسود واحمر واصفر وحلو وحامض وبين ذلك
مع اختلاف منافعها وتنوع اجناسها وانبت به الحبوب كلها على تنوعها واختلاف منافعها
وصفاتها واشكالها ومقاديرها ثم افرد النخل لما فيه من موضع العبرة والدلالة التي لا تخفى على
المتامل واحيا به الارض بعد موتها ثم قال كذلك الخروج اي مثل هذا الاخراج من الارض للفواكه
والثمار والاقوات والحبوب خروجكم من الارض بعدما وقد ذكرنا هذا السياق بتمامه وامثاله
من المقاييس الواقعة في القران في كتابنا المعالم وبينا بعض ما فيها من الاسرار والعبرة الى هنا من غير
الاصل ٥ كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب

الايكة

الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما احله باشباههم ونظرائهم وامثالهم من المكذبين قبلهم من النقمات
والعذاب الاليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله به من الغرق العام لجميع اهل الارض واصحاب الرس
وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وهم امته الذين بعث اليهم
من اهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله بهم الارض واحال ارضهم بحيرة منتنة خبيثة
بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق واصحاب الايكة وهم قوم شعيب وقوم تبع وهو اليماني وقد
ذكرنا من شانه في سورة الدخان ما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد كل كذب الرسل اي كل من هذه
الامم وهولاء القرون كذب الرسل رسولهم ومن كذب رسولا فكانما كذب جميع الرسل كقوله كذبت
قوم نوح المرسلين وانما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الامر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم فحق وعيد
اي فحق عليهم ما اوعدهم الله على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون ان يصيبهم ما اصابهم
فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب اولئك ز عاد الى تقرير النبوة باحسن تقرير واوجز لفظ وابعده عن كل شبهة
وشك فاخبر سبحانه انه ارسل الى قوم نوح والى عاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون رسلا فكذبوهم
فاهلكهم الله بانواع الهلاك وصدق فيهم وعيده الذي اوعدهم به رسله ان لم يومنوا وهذا
تقرير لنبوتهم ولنبوة من اخبر بذلك عنهم من غير ان يتعلم ذلك من معلم ولا قراءة في كتاب بل اخبر به
اخبارا مفصلا مطابقا لما عند اهل الكتاب الى هنا من غير الاصل وقوله افعيينا بالخلق الاول
اي افاعجزنا ابتدا الخلق الاول حتى هم في شك من الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد والمعنى ان ابتدا
الخلق لم يعجزنا والاعادة اسهل منه كما قال تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وقال
الله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة
وهو بكل خلق عليم وقد تقدم في الصحيح يقول الله تعالى يوذيني ابن ادم يقول لن يعيدني كما بداني
وليس اول الخلق باهون علي من اعادته ز ثم عاد الى تقرير المعاد بقوله تعالى افعيينا بالخلق الاول
قالوا يقال لكل من عجز عن الشي عيي به قال الشاعر عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة ومنه
قوله ولم يعي بخلقهن قال ابن عباس يريد افعجزنا وكذلك قال مقاتل قال شيخ الاسلام ابن القيم
هذا تفسير بلازم اللفظة وحقيقتها اعم من ذلك فان العرب تقول اعياني ان اعرف كذا وعييت
به اذا لم تهتد لوجهه ولم يقدر على معرفته وتحصيله وتقول اعياني دواوه اذا لم تهتد له ولم
عليه ولازم هذا المعنى العجز عنه والبيت الذي استشهدوا به شاهد لهذا المعنى فان
الحمامة لم تعجز عن بيضتها ولكن اعياها اذا ارادت ان تبيض اين ترمي بالبيضة فهي تدور وتجول
حتى ترمي بها فاذا باضت اعياها اين تحفظها وتودعها فهي تنقلها من مكان الى مكان وتحتار
اين تجعل مقرها كما هو حال من اعيي بامره فلم يدر من اين يقصد له ومن اين ياتيه وليس المراد بالاعياء
في هذه الاية التعب كما ظنه ظان بل هذا المعنى هو الذي نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه
في اخر السورة بقوله تعالى وما مسنا من لغوب ثم اخبر سبحانه انهم في لبس من خلق جديد اي انهم التبس عليهم

Copyright King Saud University